قال : أنا أشرح لكم عن المبكى .

قلنا له : ايه المبكى . نحن نريد البراق .

قال : انتم هنا في البراق ، وهذا هو حائط المبكى . وانا اشرح لكم كل شيء ، احسن من الكتب ، ومن المدارس .

وكان « الترجمان » مغريا في حديثه فأذعنا اليه ، وأسلمنا عقولنا واذاننا الى حديثه.

قال : هل انتم مسلمون ؟

قلنا له : منا المسلم ، ومنا المسيحي .

قال : يعني عرب . ومضى في حديثه يسرد لنا حكاية الاسراء والمعراج كما سمعتها في بلدي عكا وفي جامع الجزار . وان « البراق الشريف » قد ربط في هذا المكان . وان الرسول (ص) قد ربطه ، عند هذا السور ، ومن هنا عرج الى السماء ، والى هنا عاد ، وركب البراق الشريف ورجع الى مكة .

قلنا له : الى هنا فان القصة معروفة ، ولكن ما شأن هؤلاء اليهود .

قال : اليهود ، كما ترون ، يأتون للصلاة والدعاء امام هذا الحائط وهم يبكون على خراب الهيكل ويدعون الله ان يسهل لهم بناء الهيكل مرة ثانية .

قلنا له : وهل هذا المكان لهم .

قال : ابدا . اعوذ بالله . هذا الحائط هو الجدار الغربي للمسجد الاقصى ، وهو جزء من الحرم الشريف. وهذا الزقاق نفسه مع الاحياء المجاورة كلها اوقاف اسلامية ، فيها زوايا وتكايا ومساجد . ان كل شبر في هذه البقعة وما حولها هي املاك اسلامية ، وليس لليهود ملك اطلاقا في هذا المكان ولا في هذا الحي .

قلنا : وما جاء باليهود الى هذا المكان ، ولماذا تسمح لهم بذلك ؟ .

قال : هذه عادة قديمة . اليهود يأتون الى الحائط ويبكون ويمسحون أيديهم بأحجار الحائط ، ويرطنون بعض الدعوات ، ثم يذهبون . ولا يمكث الواحد منهم اكثر من بضع دقائق . نحن سمحنا لهم في الماضي . فليبكوا الى يوم القيامة .

قلنا : ولكن هؤلاء يريدون ان يعود اليهم الهيكل . انهم يدعون ملكية المسجد الاقصى اذن !!

قال : هذه خرافات وخزعبلات . المسجد الاقصى لنا . وهيهات هيهات ان يملكوه . والله نحن في القدس سنموت عن اخرنا قبل ان يصيبوا منه حجرا واحدا .

ودنونا من الحائط قليلا واقتربنا من اليهود . كانوا رجالا ونساء في اخريات العمر، وكانت ملابسهم المهلهلة وسوالفهم المجدولة ، وقلانسهم المقوسة ، ورائحتهم الزنخة النتنة ، كل ذلك كان يدل انهم من اليهود ، كما كنا نعرفهم يومذاك .

وكان بعض اليهود يبكون في نحيب ، واخرون في صمت ، ورايت احدهم يضرب رأسه بالحائط ، واحسب انه عصر عينيه فلم يبك ، فراح يرطم الحجارة برأسه ليبكي !!

ولم يكن احد من المارة يحفل بهؤلاء اليهود الباكين ، فالناس العابرون ، والحمالون ، والاولاد ، والنساء ، والدواب يغدون ويروحون امام الحائط دون ان يكترث احد لعويل اليهود وصراخهم . وكل شيء هادىء، حتى الحمير تعبر بلا نهيق ، والخيل بلا صهيل !!

وكانت امرأة طاعنة تقف في طرف الحائط ، وبيدها كتاب تقرأ منه الادعية . فقلت للترجمان : ماذا تقول هذه المرأة في دعائها .

فاخرج الترجمان كتابا من جيبه وقال : دعاء اليهود امام حائط المبكى يردد ما يأتي ، بالترجمة العربية :